

أساليب الهدى النبوي في التربية والتعليم

د. ميساء علي الروابدة

جامعة البلقاء التطبيقية

عمان - الأردن

أساليب الهدى النبوي في التربية والتعليم

تمهيد:

المتأمل في السُّنة النَّبَوِيَّة يجدُها تعتني بالعلم والمعرفة عناية فائقة تدل على نفاسة هذا المعنى، لأنها تترك أثر العلم وبعده في نمو الحضارة وارتفاعها، وأنه لا يمكن لأي بُعد من الأبعاد الحضارية تجاهل الجانب العلمي، والمعرفي، فالازدهار الحضاري يتحقق بالعلم الذي له دور كبير في التقدم الحضاري وتعد الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي لم تكن مصادمة له، فمن عظمة رسالة الإسلام المتمثلة بالكتاب والسنة أنهما حررا عقل الإنسان من كثير من الأوهام التي لازمته منذ آلاف السنين، وليس من شك في أن العلم يصحح المفاهيم الخاطئة، ويفصل بين الحقيقة والخرافة، وقد اعترف بذلك الباحث الانكليزي ليون، فقال: «إن من روائع دعوة محمد - صلى الله عليه وسلم - أنها تحترم العقل، وأن الإسلام لا يطالب أتباعه أبداً بإلغاء هذه المَلَكة الربانية الحيوية، فهو على النقيض من الأديان الأخرى التي تصرّ على أتباعها أن يتقبلوا مبادئ معينة دون تفكير، ولا تساؤل حرّ، وإنما تفرض هذه المبادئ فرضاً بسلطان الكنيسة، أما الإسلام، فإنه يحث على البحث والاستفسار، ويدعو أتباعه إلى الدراسة والتتقيب والنظر قبل الإيمان...»^(١)، فالعلم في الغرب نشأ بمعزل عن الدين، ومضاداً له، ويقول المؤرخ سيديو مقارناً بين المجتمع الإسلامي، وأوروبا: «لم يشهد المجتمع الإسلامي ما شهدته أوروبا من تحجر العقل وشل التفكير، وجذب الروح، ومحاربة العلم والعلماء حيث يذكر التاريخ أن اثنين وثلاثين ألف عالم قد أحرقوا أحياء!، ولا جدال في أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر، بل كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك العصور المظلمة، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفه في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام»^(٢)، وتتجلى أساليب الهدى النبوي في التربية والتعليم فيما يلي:

(١) بنظر: العشي، عرفات كامل، رجال ونساء أسلموا، ج ٧ ص ٦ - ٧.

(٢) باشا، حسان شمسي، هكذا كانوا يوم كنا، طبعة دار المنارة، جدة - السعودية، (د.ط)، ١٩٩٩م، ص ٨٣-٨٤.

١. أسلوب مراعاة الفروق الفردية

الفروق الفردية سنة من سنن الفطرة، ولذلك راعى النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه السنة، وأولاه جانباً مهماً في تعليم أمته، وذلك لاختلاف خصائص الأفراد من النمو العقلي، والنفسي، والوجداني لدى المتعلمين، واختلاف مستويات إدراكهم، وبذا تكون السنة المطهرة "أسبق من غيرها من نظم التربية والتعليم المعاصرة التي تفتخر وتزهو بأنها هي أول من جربت هذا الأسلوب في الحياة المعاصرة ممثلة في دراسات الغربيين كثور نيدك، وسبرمان"^(١)، وقد يوب الإمام البخاري ثلاثة أبواب في مراعاة الفروق الفردية^(٢)، وقد فهم الصحابة - رضي الله عنه - هذا الأسلوب فهماً دالاً على عمق معرفتهم، وحصافة عقليهم، فقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: "حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَلْحَبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"^(٣) وقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ"^(٤) ومن أمثلة ذلك في السنة النبوية حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً "... فَرُبُّ مُبْلَغٍ أَحَقُّ لَهُ مِنْ سَامِعٍ"^(٥)

وعنه في رواية: "... فَرُبُّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"^(٦) وفي لفظ آخر: "... فَرُبُّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ"^(٦)، ومجيء اسم التفضيل الدال على التفاضل في قوله

(١) بنظر: عبد العزيز، صالح، التربية وطرق التدريس، ج ١، ص ١٤٤.

(٢) "باب من ترك بعض الأخبار مخالفة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه" ج (ص ٥٨، "باب من خصن بالملم قوماً دون قوم كرامة ألا يفهموا" ج ١، ص ٥٩، و"باب من أجاب السائل بكثرة مما سأله" ج ١، ص ٦١.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، ج ١، ص ٥٩.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ١٠.

(٥) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، حديث رقم (٤١٥٧)، ج ٧، ص ٢٢١ واللفظ له، و ابن ماجه، السنن، كتاب العلم، باب من بلغ علماً، حديث رقم (٢٣٠) ج ١، ص ٨٤، وأبو داود، السنن، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، حديث رقم (٣٦٦١)، ج ٢، ص ٣٤٦، والترمذي، جامع الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الخت على تبليغ السماع، حديث رقم (٢٦٥٧) و(٢٦٥٨)، ج ٤، ص ٣٣١، والحديث صحيحه الترمذي، ورجاله ثقات.

(٦) الترمذي، جامع الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الخت على تبليغ السماع، حديث رقم (٢٦٥٧) و(٢٦٥٨)، ج ٤، ص ٣٣١، والحديث صحيحه الترمذي، ورجاله ثقات.

صلى- الله عليه وسلم - : (أحفظ) و(أوعى) ، و(أفقه) دالة على الفروق الفردية، وتفاوت الهمم والتلقي والوعي والإدراك.

ومنها حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- جلس على المنبر فقال: "إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: فَذَيْنَاكَ يَا بَانِيْنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- عَنْ عَبْدٍ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ،هُوَ يَقُولُ: فَذَيْنَاكَ يَا بَانِيْنَا وَأُمَّهَاتِنَا ،فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- هُوَ الْمُخَيَّرُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمُنَا بِهِ...".^(١) فأبو بكر الصديق فهم ما لم يفهمه عامة الصحابة من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم- ومقصده في ذلك وإن كانوا كلهم/مشاركين في فهمه^(٢)، قال النووي: "وإنما قال صلى الله عليه وسلم إن عبداً وأبهمه لينظر فهم أهل المعرفة ونباهة أصحاب الحق".^(٣)

٣. أسلوب التمرج في التعليم

تعد تجزئة المعارف، والتدرج فيها من القضايا المهمة في دراسة العلوم كافة، وذلك لأن أصل العلم وبناءه تراكمي، يزيد شيئاً فشيئاً مع الأيام ، ويتجلى هذا بتعلم صغار مسائل العلم قبل كبارها، وبسهولة قبل صعابها، وبواضحها قبل مشكلها ، وبمحسوسها قبل معقولها، وبجزئها قبل كلها.

(١) ابن ماجه، السنن، مكتب العلم، باب من بلغ علماً، حديث رقم (٢٣١) ج١ ص٨٥ ، وأبو داود، السنن ، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، حديث رقم (٣٦٦١) ، ج٢ ص٣٤٦ ، والحديث إسناده صحيح .

(٢) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب المناقب، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم (٣٦٩١) ، ج٣ ، ص١٤١٧ ، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة - رضي الله عنهم - ، باب من فضائل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- حديث رقم (٢٣٨٢) : ج٤ ص١٨٥٥ .

(٣) بنظر : ابن قيسية مجموع الفتاوى، ج٢، ص٢١٧ .

(٤) النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم، (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) ، ج١٥ ، ص١٥٠ .

قال الإمام الماوردي: "اعلم أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها ، و مداخل تُقضي إلى حقائقها ، فليبدأ طالب بأوائرها لينتهي إلى أواخرها ، و بمدخلها ليُقضي إلى حقائقها ، و لا يطلب الآخر قبل الأول ، و لا الحقيقة قبل المقصد ، فلا يدرك الآخر و لا يعرف الحقيقة ، لأن البناء على غير أس لا يُبنى ، و الثمر من غير غرس لا يُجنى".^(١)

وقال ابن خلدون: "اعلم أن تلقين العلوم إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً و قليلاً قليلاً، يُلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، و يقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ، و يراعى في ذلك قوة عقله و استعدادة لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن ، و عند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ..."، و قد استدل الإمام البخاري بكلام ابن عباس - رضي الله عنه - على التدرج في العلم بقوله: "وقال ابن عباس {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} (سورة آل عمران: ٧٩)، حلماء فقهاء، و يقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره"^(٢)، "و المراد بصغار العلم ما وضع من مسائله و بكباره ما دق منها، و قيل يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده"^(٣)، و يؤكد ابن حجر على أهمية استخدام هذا الأسلوب لتهيئة النفوس للتلقي و القبول بقوله: "تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج؛ لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبيب إلى من يدخل فيه، و تلقاه بانيساط، و كانت عاقبته غالباً بالازدياد بخلاف ضده"^(٤)، و من الأحاديث الدالة على التعليم بالتدرج ، و البدء بالأهم فالأهم:

حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - لما بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن، فقال له: "ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ

(١) الماوردي، أئب الدنيا والدين، ص ٥٣.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، ج ١، ص ٣٧.

(٣) ينظر: المسقلائي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ١، ص ١٦٢.

(٤) ينظر: المسقلائي، فتح الباري، ج ١، ص ١٦٣.

أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تَتَوَخَّذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ^(١).

قال السندي: "قوله: فادعهم إلى شهادة الخ. أي فادعهم بالتدريج إلى ديننا شيئاً فشيئاً ولا تدعهم إلى كله دفعة لئلا يمنعهم من دخولهم فيه ما يجدون فيه من كثرة مخالفة لدينهم..."^(٢)

والحديث ينص على أهمية البدء بالأهم فالأهم في الدعوة والتعليم، إذ المطالبة بالجميع دفعة واحدة تضيق لكل ما تعلموه، ولقد كان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يراعي أمر التدرج في دعوته وتعليمه، فلم يكن ينتقل من مرحلة قبل أن يستوفيهما حقها، كما لم يكن ينتقل إلى مرحلة لم يحن وقتها، ولم يكن الالتزام بالتدرج من قبل النبي صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه فحسب، بل كان يوصي به أصحابه، فهاهو عليه الصلاة والسلام يرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن فيحضه على التدرج مع من أرسله إليهم ومراعاة ذلك في إيلاخ العلم وما يتضمنه من المعاني الحقة، والعلم الذي يحصل عليه المتعلم من غير تدرج لا يبقى بل، يذهب منه^(٣)، ولذا جاء في الأثر عن معمر بن راشد: "من أخذ العلم جملة ذهب منه جملة"^(٤).

٣. أسلوب التكرار

للتكرار: هو إعادة اللفظ بعينه مع اتفاق المعنى^(٥).

(١) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، وترد في فقرات حيث كانوا، حديث رقم (١٣٣١)، ج ٢، ص ٥٠٥، وسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى شهادتين وشروط الإسلام، حديث رقم (١٩)، ج ١، ص ٥٠.

(٢) الفيلسوف، مرعاة المصنف شرح مشكاة المصابيح، ج ٦، ص ٤.

(٣) ينظر: محمد أبو بكر، مروان، فقه التدرج، مقال منشور على شبكة الاتصالات العالمية (الانترنت)، موقع شبكة لمشكاة الإسلامية، <http://www.meskat.net>.

(٤) الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، رقم الأثر (٣٥٥٠)، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٥) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأسموني، ج ١، ص ٤١١.

وبعد التكرار من الأساليب المتبعة والتي لها مردود علمي مهم، والكلام إذا تكرر تقرر^(١)، وقد أكثر النبي - صلى الله عليه وسلم - في مناسبات عدة من ظاهرة التكرار، وتوظيف أغراضه لدى سامعيه، وقد أبان الخطابي بواعث التكرار بقوله: (وإنما يحتاج إليه، ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط، والنسيان فيها، والاستهانة بقدرها)^(٢).

وقال الزمخشري: النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله، ومن ثم كانت عادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات ...، ليركزه في قلوبهم، ويغرسه في صدورهم^(٣)، ولقد بينت الدراسات التجريبية الحديثة العلاقة الوثيقة بين مستوى التذكر، وبين عدد التكرار، فهو يثبت المعلومات والمهارات، ويساعد على جودة التذكر^(٤).

وأغراض التكرار كثيرة ومنها:

التوكيد لمطلول الكلام:

ومن أمثله: حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: من أحق الناس بخسني صحابتي؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: ثم أمك، قال ثم من قال؟ ثم أمك، قال ثم من؟ قال: ثم لؤك^(٥)، والحديث جاء تأكيداً على الإحسان إلى الأم، وبيان عظيم فضلها، فإن بر الوالدين من أعظم الواجبات وأجل الطاعات بعد توحيد الله تعالى.

(١) بنظر: السيوطي، الإيجان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٧٩.

(٢) الجرجاني، إيجاز القرآن، ص ٥٢.

(٣) الزمخشري، فتشقق عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ٤، ص ١٢٤.

(٤) بنظر: الزهراني، الأساليب التطبيقية لمستقلة من خلال تراجم البخاري، مجلة لم تقرأ لعلوم الشريعة ولغة العربية وأنشأها، ج ١٥، ع ٢٧، جلد الثاني ١٤٢٤هـ - ١٤٢٢.

(٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنها لق به، حديث رقم (٢٥٤٨)، ج ٤، ص ١٩٧٤.

ومنها زيادة التنبيه على أمر مهم: ومن أمثلته:

حديث أبي بكر^١ - نفع بن الحارث - رضي الله عنه، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله... أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيغير اسمه، قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى، قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيغير اسمه، قال: أليس البكة، قلنا: بلى، قال: فأى يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى، قال: فإن بماءكم بماءكم - قال محمد وأحسبه قال - وأعرضكم، عليكم حرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أفعالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعض رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعن بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، وكان محمد إذا ذكره قال: صدق - النبي صلى الله عليه وسلم -، ثم قال - ألا هل بلغت، ألا هل بلغت^(١).

وجاء التوكيد في الحديث زيادة في التنبيه على أهمية حفظ النماء والآنفس، والأعراض، والأموال، وأنها الدعائم التي تقوم عليها كل حياة اجتماعية، وهي الأسس لكل تقدم علمي وحضاري، وتكرار اسم الإشارة (هذا)، زاد من جلال هذا التوكيد على حفظ ما ذكر.

ومنها زيادة التحذير والترهيب:

ومنها حديث أبي شريح الخزازي - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي

(١) البخاري، الجمع الصحيح المختصر، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة - إلى ربها ناظرة)، سورة قتلعة: ٢٢ - ٢٣، حديث رقم (٧٠٠٩)، ج ٦، ص ٢٧١٠.

لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَاقِهِ^(١) مكرر النبي - صلى الله في هذا الحديث نفي الإيمان الكامل ثلاث مرات مؤكدا عليه بالقسم زيادة في التحذير والترهيب من أذى الجار^(٢).

ومنها التقرير والتثبيت: ومن أمثلتها:

حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرَّجُلُ بِحَدِيثِكَ فَأَجْعَلَ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ نَعْلَمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ فَقَالَ اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا فَاجْتَمِعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تَقَعُّ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ أَدَمًا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعْلَقَتْهُمَا مَرْتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: وَثْنَيْنِ وَثْنَيْنِ وَثْنَيْنِ^(٣)، لكَد النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث أن وفاة الصغار إذا كلنا اثنين يتحقق النجاة بهما من النار، وأن مفهوم المخالفة في العدد ثلاثة غير معتد به^(٤).

ومنها تحقيق الدعاء: ومن أمثلتها:

حديث أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: « رَغِمَ أَنْفٌ^(٥) رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا، أَوْ كِلَيْهِمَا، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ »^(٦)، فقد أعاد النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الدعاء ثلاثاً على المدرك لأبويه، أو أحدهما عند كبرهما لتفريطه في الرعاية الاجتماعية

(١) بواقه: أي غرقه، وشروبه، ينظر، ابن الأثير، التنبيه في غريب الحديث والآثر، ج ١ ص ١٦٢.

(٢) ينظر: السكتاني، فتح الباري، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٤٤٣.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب العلم، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الرجال والنساء، حديث رقم (٦٨٨٠)، ج ١، ص ٢٦٦٦، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب لعن من يموت له ولد فاحتسبه، حديث رقم (٧٦٣٣)، ج ٤، ص ٢٠٢٨.

(٤) ينظر: السكتاني، فتح الباري، ج ٣، ص ١٢٢.

(٥) رَغِمَ: أفسق فنه بالقراب، وهو كتابة عن اللال بمنظر: ابن الأثير، التنبيه في غريب الحديث، ج ٢ ص ٢٣٨.

(٦) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، حديث رقم (٢٥٥١)، ج ٤، ص ١٩٧٨.

لكليهما، أو أحدهما، خاصة في هذا السن المتأخرة؛ فلهما من الفضل عليه بعد الله الكثير، فقد اهتموا بتربيته، والاعتناء به، طيلة هذه المدة، فكان من الواجب عليه بعد بلوغهما هذا السن الاعتناء بهما، وطاعتهما، والترفق بهما.

٤. أسلوب التقسيم

يعد أسلوب التقسيم بذكر العدد أولاً ثم بذكر المعدود بعد ذلك، من أساليب الهدى النبوي في التعليم، فقد أكثر النبي في مواضع شتى من هذا الأسلوب^(١)؛ لأن فيه تحفيزاً للسامع، وتهيئته لاستيعاب هذا العدد، وعدم فوات شيء منه، وهذا من حسن تعليم النبي - صلى الله عليه وسلم - وكمال نصحه لأمته، وجوامع كلمه، وعظم بيانه، فإن الإكثار يمثل هذا التقسيم تحفيز السامعين إلى العناية والاهتمام بما يلقي بعد ذكر العدد من المعدودات له^(٢).

ومن أمثلة هذا الأسلوب:

حديث أبي بكر - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ لَا يَكْتُمُهُنَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بَوْلًا يُزَكِّيهِمْ، مَوْلَاهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ، رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْقَلَاءِ^(٣) يَمْتَنِعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسُلْعَةٍ بَعْدَ الْغَضْرِ،

(١) ينظر على سبيل المثال: البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب اللباس، باب نص الثياب، حديث رقم (٥٥٥٠)، ج ٥، ص ٢٢٠٩، وكتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (١٦)، ج ١، ص ٤١، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب يَبْكِي الشَّهَادَةَ، حديث رقم (١٩١٤)، ج ٣، ص ١٥٢١، وكتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم إسبال الإزار، حديث رقم (١٠٧)، ج ١، ص ١٠٢، وابن ماجه، المسند، كتاب الصبد، باب ما ينهى عن قتله، حديث رقم (٣٢٢٤)، ج ٢، ص ١٠٧٤، وأبو داود، المسند، كتاب الطب، باب القليل على كمال الإيمان ونقصانه، حديث رقم (٤٦٨٨)، ج ٤، ص ٢٣١، والترمذي، الجامع، أبواب الأدب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في تكليم الأظفار، حديث رقم (٢٧٥٦)، ج ٤، ص ٣٨٨، والسنن الكبرى، كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى، حديث رقم (٢٥٦٢)، ج ٥، ص ٨٠.

(٢) لقاء، عبد المحسن، شرح سنن أبي داود، محاضرة منشور على شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت)، مزاج، <http://audio.islamweb.net>

(٣) قفلاء: الأرض التي لا ماء بها ولا لبن، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ١٦١.

فَحَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا بِفَضْنَتِهِ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَانِعٌ إِمَامًا لَا يَتَابِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ». ^(١)

فقد أجمل النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر هؤلاء الثلاثة، ثم حفز السامعين، وهياهم لبيان أمرهم، من تغليظ لليمين للكاتب في بعض الأوقات، وأكل حقوق العباد ^(٢)، ومنع الحقوق العامة، وعدم الوفاء بالبيعة، بترك الإخلاص لمن بايع ^(٣).

٥. أسلوب استعمال الوسائل الإيضاحية

استعمل النبي - صلى الله عليه وسلم - وسائل متعددة لتقريب المعاني بالمحسوسات، وتدعيم أقواله بالإشارة بدلاً عن العبارة، وباستعماله الوسائل الإيضاحية، وهو بهذا سبق للتربية الحديثة بأربعة عشر قرناً في تقرير هذا الأسلوب، ومن الأحاديث لدلالة على ذلك:

حديث سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَنَا وَكَافِلٌ" ^(١) الْيَتِيمُ فِي الْجَنَّةِ مَكَذَا، مَكَذَا مَوْثُلَانِ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى، وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا" ^(٢).

جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث كفالة اليتيم، ورعايته تربية وتعليماً من القربات للمأجورة، وسبباً من أسباب رفقته في الآخرة، كل هذا نظراً لأهمية رعاية اليتيم وكفالاته الاجتماعية التي تعد إحدى أسس للتكافل الاجتماعي في بناء المجتمع.

قال الحافظ بن حجر: "وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى" ^(٣) وقال المنذري: "وفي الإشارة

^(١) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الأحكام، باب من بايع رجلاً لا يليقه إلا الدنيا، حديث رقم (٦٧٨٦)، ج ١، ص ٢٦٣٦، مسلم، صحيح مسلم، واللفظ له، كتاب الإيمان، باب بيان غلط تعزير إبطال الزور والتمسك بالبيعة وتفق السمة بالخط، حديث رقم (١٠٨)، ج ١، ص ١٠٣.

^(٢) ينظر: الصفاي، فتح الباري، ج ٥، ص ٢٨٤.

^(٣) ينظر: المنذري، إرشاد القدير، ج ٢، ص ٤٣٥.

^(٤) الكافل: هو القتم بلقر اليتيم، العربي له، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٤، ص ١٩٢.

^(٥) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الطلاق، باب اللعان، حديث رقم (٤٩٩٨)، ج ٥، ص ٢٠٣٢.

إشارة إلى أن بين درجته والكافل قدر تفاوت ما بين المشار به ويحتمل أن المراد قرب المنزلة حال دخول الجنة أو المراد في سرعة الدخول وذلك لما فيه من حسن الخلافة للأبوين ورحمة الصغير وذلك مقصود عظيم في الشريعة ومناسبة التشبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم شأنه أن يبعث لقوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا ومرشدا لهم ومعلما وكافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل فيرشده ويعقله^(١)

ومثال التعبير بالرسم : حديث عبد الله بن أبي طلحة - رضي الله عنه - قال : **خَطَّ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - خطاً مَرْتَبَعاً، وَخَطَّ خَطاً فِي الْوَسْطِ خَارِجاً مِنْهُ، وَخَطَّ خَطّاً صِغَاراً إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ : هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا لَجَنَةُ مُحِيطٍ بِهِ ، أَوْ قَدْ أَخَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْتُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَاهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَاهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا^(٢)**، ففي هذا الحديث استعان النبي - صلى الله عليه وسلم - بالوسائل الإيضاحية، والتي لها أثر فعال في التربية والتعليم، وذلك لتقريب المعاني، وشرح الحقائق، وتيسير إدراكها، وكل هذا يظهره البعد الحضاري في مجال التطبيق التربوي، والسبق النبوي لما توصلت إليه أصول التربية والعلوم المعاصرة من أهمية العناية بالوسائل الإيضاحية في التربية والتعليم، لأنها تساعد المعلم على إيصال المعلومات إلى المتعلم بأقل جهد، وأسرع وقت^(٣).

(١) ينظر: تصفاتي، فتح قهري، ج ١٠ ص ٤٣٦.

(٢) ينظر: المناري، أفضل القدير، ج ٣ ص ٦٤.

(٣) البغدادي، الجامع التصحيح المختصر، كتاب الفرقان، باب في الأمل وشمله، حديث رقم (٦٠٥٤)، ج ٥، ص ٥٥٩.

(٤) ينظر: الزنتاني، عبد الحميد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص ٢٠٩ - ٢١٠، وينظر : تزويدي، علي بن إبراهيم، الأساليب التعليمية المستفادة من خلال تراجم البغدادي، ص ٤٣٨.

٦. أسلوب التعليم بضرب المثل والقصة:

أولاً: ضرب الأمثال:

المثل في اللغة: النظير، والشبيه.^(١)

وفي الاصطلاح: "تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما الآخر".^(٢)

ويجتمع في المثل إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة^(٣)، وقد استعان النبي - صلى الله عليه وسلم - بضرب الأمثال في الدعوة والتعليم، وتبليغ هذا الدين، وذلك لما للمثل من أثر كبير في تقريب البعيد، وتوضيح الناقص، وإظهار المعقول في صورة المحسوس، والأمثال تعدّ من إحدى الوسائل في التعليم والهداية والإرشاد^(٤)، وقد وردت في السنة النبوية أمثال كثيرة من أجل هذه الأغراض، وقد خصص الإمام أبو عيسى الترمذي في جامعہ كتاباً تحت عنوان: "أبواب الأمثال عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم"^(٥)، وقد ألفوها المحدثون بالتصنيف، ومنهم: أبو عبيد القاسم بن سلام، والحكيم الترمذي، والرامهرمزي، وأبو الشيخ الأصبهاني^(٦).

ومن أمثال النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - مرفوعاً: "مَثَلٌ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ بِكَمَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَلْبَنَتْ لَهَا وَالْمُشْبِ الْكَثِيرَ بَوَكَلَتْ مِنْهَا أَجَادِبَ لَمْسَكْتَ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَكَأَنَّ تَنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَتَحَ فِي دِينِ اللَّهِ وَفَعَلَ مَا بَعَثَنِي

(١) بنظر: ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج ١ (ص ٦١٠)، مادة: (مَثَل).

(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ١، ص ١٥٠.

(٣) هيدلي، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٦.

(٤) الطراطي، محمد فواض، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، ج ٧٣.

(٥) بنظر: الترمذي، جامع الترمذي، ج ١، ص ٤٤١.

(٦) بنظر: الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، ص ٣٧.

لِلَّهِ بِهِ فَعِلْمٌ وَعِلْمٌ وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ^(١)، فقد ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - مثلاً لما جاء به من الهدى القويم بالغيث العام الذي يأتي الناس حال حوجهم إليه، ثم شبه المبعوث إليهم بالأرض المختلفة، وهو من يبيع الإيجاز والبلاغة الذي يكشف عن البون الشاسع بين من يحرص على العلم والتعلم والتزود منه، وبين من يعرض عنه، وعطف (العلم) على (الهدى) من عطف المدلول على الكليل^(٢).

ثانياً: ضرب القصاص:

القصة: هي عرض الأحداث التاريخية التي مضى بها الزمن^(٣).

والمقصود بالقصاص النبوي: "ما حكاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه من أخبار الأمم الماضية، وما حدث للأنبياء والمرسلين وغيرهم"^(٤).

فالقصاص لها تأثير عجيب في غرس قيم التعليم التي جاءت بها السنة المطهرة، وتثبيتها في العقول، وقد وردت القصة في السنة في مواضع عدة منها: قصة أصحاب الغار وانطباق الصخرة عليهم^(٥)، وقصة الغلام والملك^(٦)، وقصة الأبرص والأقرع

(١) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب العلم، باب فضل من عِلِمَ وَعَلِمَ، رقم الحديث (٧٩)، ج ١، ص ٤٢، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل، باب: بيان من ما يبت به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، حديث رقم (٢٢٨٢)، ج ٤، ص ١٧٨٧.

(٢) ينظر: القرطبي، المعلم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج ١٩، ص ٢٣، والصقلاني، فتح الباري، ج ١، ص ١٧٥، وحسن، محمود السيد، رواقع البيان في الأمثال النبوية، ص ٧٠-٧١.

(٣) ينظر: الخطيب، عبد الكريم، تلخيص القرآن، في منطوقه ومفهومه، ص ٣٩.

(٤) عطية، خالد شاكر، القصة في السنة النبوية، ص ١٥.

(٥) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الحرف والمزفة، باب: إذا زرع بعل قوم بغير إنهم وكان في ذلك سلاح لهم رقم الحديث (٢٢٠٨)، ج ٢، ص ٨٣١، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، وتنزل إلى الله بصلاح الأعمال، رقم الحديث (٢٧٤٣)، ج ٤، ص ٢٠٩٩.

(٦) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم (٣٠٠٥)، ج ٤، ص ٢٢٩٩.

والأعمى^(١)، وقصة موسى والخضر - عليهما السلام -^(٢)، وقصة جريج العابد^(٣)، وقصة القاتل للتائب^(٤)، وقصة جرة الذهب^(٥).

ومن قصص الحديث النبوي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: "أَنْ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَفَقَّعَهَا إِلَيْهِ، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً، فَفَرَّقَهَا، فَأَلْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا - فَفَكَرَ الْحَدِيثَ - فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ أَلْفًا"^(٦)، فقد عرض النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه للقصة في أداء الحقوق، ووفاء الدين، وسلوك كل السبل لغرض وفاء الدين في الأجل المجدد، وعدم المصل، وتحسين النيات في إيفاء حقوق الآخرين؛ لأن الله تعالى رسين صاحب النية الذي يريد الوفاء، وقد ورد هذا صريحاً في حديث أبي هريرة الآخر مرفوعاً: "مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ إِبْطَالَهَا كَلَّفَهَا اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا بِالصَّبْرِ"^(٧).

(١) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب لمحدث الأنبياء، باب حديث ليرس وأصى وأفرع في بني إسرائيل، حديث رقم (٣٢٧٧)، ج ٢، ص ١٢٧٦، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفق، حديث رقم (٢١١٤)، ج ٤، ص ٢٣٧٥.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب العلم، باب ما يستحب للمعلم إذا سأل أي الناس أعلم، حديث رقم (١٢٢)، ج ١، ص ٥٦، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب السنن، باب من استقل فمضر عليه السلام، حديث رقم (٢٣٨٠)، ج ٤، ص ١٨٤٧.

(٣) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب لمحدث الأنبياء، باب "فكر في لكتاب مريم"، حديث رقم (٣٢٥٣)، ج ٢، ص ١٢٦٨، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة، حديث رقم (٢٥٥٠)، ج ٤، ص ١٩٧٦.

(٤) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب لمحدث الأنبياء، باب (لم حسب أن أصعب لكيف والرفق) (لكيف :٩، حديث رقم (٣٢٨٧)، ج ٢، ص ١٢٧٨، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كفر قتله، حديث رقم (٢٧٦١)، ج ٤، ص ٢١١٨.

(٥) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب لمحدث الأنبياء، باب (لم حسب أن أصعب لكيف والرفق) (لكيف :٩، حديث رقم (٣٢٨٥)، ج ٣، ص ١٢٨١، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الأمسية، باب استحباب إصلاح الحكم بين المسلمين، حديث رقم (١٧٢١)، ج ٣، ص ١٣٤٥.

(٦) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الكفالة، باب الكفالة في القرض والدين بالأبدان وغيرها، حديث رقم (٢١٦٩)، ج ٢، ص ٨٠١.

(٧) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الاستقراض وأداء الدين، باب من أخذ أموال الناس يريد إعادتها لو إلتهاها، حديث رقم (٢٢٥٧)، ج ٢، ص ٨٤١.

فالمداينة هي عقد يمتد إلى مدة زمنية، ولا يقدم عليها الدائن ما لم يكن على ثقة ورغبة الطرف المستدين في الوفاء، فكل ما يؤدّ الثقة بذلك يدعم نظام المداينات، ويوسع نطاقها، ويسر حاجات الناس وقضاء مصالحهم، وكذا جاءت السنة النبوية عن طريق القصة توجيهاً لتعزيز الثقة في المداينات، والوفاء بحقوق الآخرين، وهذا يعد من أسبقية السنة المطهرة في ترسيخ القيم والأخلاق على انضباط المعاملات.^(١)

٧. أسلوب التساؤل والاستفهام:

الاستفهام: هو طلب حصول لصورة الشيء في الذهن^(٢).

ويعد أسلوب التساؤل أحد أساليب التعليم المهمة والمؤثرة في التربية والتعليم لما يثير من التفاعل بين السائل والمجيب ، وهذا من الأساليب النبوية التي مارسها النبي - صلى الله عليه وسلم- في تعليمه لأصحابه ، وقد فطن الصحابة - رضي الله عنهم - إلى مكانة هذا الأسلوب وأهميته في تحصيل العلم ونشره، وهذا الأسلوب طريقة استنباطية لاستخراج المعارف من أفواه المتعلمين ، حتى تظهر المواهب ولقدرات العقلية، وهو يساعد على اكتشاف ما في أذهان التلاميذ من الأفكار والمعلومات وإثارة العقل^(٣)، ومن أمثلة السنة النبوية في ذلك حديث أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- « يَا أَبَا لَمُنْذِرٍ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَكْثَرُ ؟ قَالَ: قُلْتُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَعْلَمُ، قَالَ: يَا أَبَا لَمُنْذِرٍ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَكْثَرُ ؟ قَالَ: قُلْتُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قَالَ: فَضَرْبٌ فِي صَنْدَرِي وَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَهْدِيكَ الْعِلْمَ أَبَا لَمُنْذِرٍ »^(٤).

(١) ينظر: قررقا، بحث بمنون: الأمانة العلمية، ص ٧.

(٢) القنطري، المعقول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ص ٤٠٩.

(٣) ينظر: القنطري، الرسول والعلم، ص ١٥٠، والزهري، الأساليب التنظيمية المستفادة من خلال تراجم البخاري، ص ٤٤٤-٤٤٣.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة كهف ولية الكرسي، حديث رقم (٨١٠)، ج ١، ص ٥٥٦.

فقد استعمل النبي - صلى الله عليه وسلم - أسلوب الاستفهام الفعال مع الصحابي أبي بن كعب، ليثير انتباهه، ويستجمع ذهنه، وليظهر قدرة أبي - رضي الله عنه - العقلية، وليرسخ ويؤكد أن آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله لاشتمالها على لوصاف إلهية تفيد التعظيم.

قال العلماء: "إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم لما جمعت من أصول الأسماء والصفات" (١) (٢).

٨. أسلوب ترسيخ المفاهيم بالربط بين المواقف التعليمية

ومن أسلوب الهدى النبوي في التعليم الربط بين المواقف التعليمية ، واختيار الفرصة المناسبة لإلقاء الحديث، وهذه الطريقة تجمع بين ترسيخ المعلومات بطريق السمع والبصر، والمعلم البارع هو الذي لا يترك المناسبات والأحداث تذهب سدى ، بل يستغلها.

ومن أمثلة ذلك حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: "قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحَلَّبَ ثَلَاثُهَا تَسْبِيًا، إِذَا وَجَّهَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ اخْتَنَتْ فَالْمَسْكُونَةُ بِبَطْنِهَا، وَأَرْضَعَتْهُ ، فَقَالَ لَنَا - النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "لَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِخَةً وَكَذَٰهَا فِي النَّارِ؟ " قُلْنَا: نَآ، وَهِيَ تَقْبِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: "لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَدَّعَا" (٣).

ففي هذا الحديث انتهاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المناسبة القائمة بين يديه مع أصحابه المشهود فيها حنان الأم الفاقدة على رضيعها إذا وجنته، وبين من خلال هذا الموقف سعة وشدة رحمة الله تعالى بعباده (٤).

(١) قنوي، شرح صحيح مسلم، ج١، ص٩٣.

(٢) البخاري، جامع الصحيح لمختصر، كتاب الألب، باب رحمة فراد وتقبله ومماقته، حديث رقم (٥٦٥٢)، ج٥، ص ٢٢٣٥، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى ولها سبقت غضبه، حديث رقم (٢٧٥٤)، ج٤، ص ٢١٠٩.

(٣) ينظر: أبو خنكة، الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص١٦٠.

وقد تجلت ثمار كل هذه الأساليب في الهدى النبوي من الطرائق المختلفة بيزوغ شمس حضارة الإسلام التي غطت ربوعها أصقاع الأرض ، وبدأت الإنسانية تتهل من معينه في العصور السابقة ، وبذا تظهر السنة المطهرة مدرسة في التربية والتعليم وطرائق التدريس كل ذلك نتيجة لتعاليم الهدى النبوي، وظهور مراكز التعليم ، والمكتبات، والمدارس التي انتشرت انتشاراً فائقاً يقول المستشرق الألمانية "زيفريد هونكة" في ثنائها على مكتبات العالم الإسلامي ، وما حوته من كثير من كتب العلم وفنونه: «وفي القاهرة رتب مئات العمال والفنيين في مكتبة الخليفة العزيز بالله الفاطمي مليونين ومئتين من المجلدات، وهو ما يعادل عشرين ضعفاً مما حوته مكتبة الإسكندرية في عصرها، وقد بهرت المكتبة جربرت فون أورباك الذي ارتقى كرسي البابوية في روما سنة ٩٩٩م باسم البابا سلفستروس الثاني، وقال متحسراً: إنه لمن المعلوم تماماً أنه ليس ثمة أحد في روما له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بواباً لتلك المكتبة، وأنى لنا أن نعلم الناس، ونحن في حاجة لمن يعلمنا، إن فاقد الشيء لا يعطيه»^(١)، وإذا فليس من الغريب أن تعد عناية السنة النبوية المطهرة بالعلم والمعرفة مقياساً للبعد الحضاري، ومؤشراً على النهوض الحضاري، ومن أجل ذلك تبوأ العلم المكانة السامية في هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - .

(١) ينظر: هونكة، زيفريد، شمس العرب تنطع على الغرب، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

المراجع

١. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله الجوزية، (ت ٧٥١هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرعوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ج ١، ص ١٥٠.
٣. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم الحارثي، (ت ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزلر، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٤. ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٥. ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، (ت ٢٧٣هـ)، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٦. ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور المصري، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ١.
٧. أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت ٢٧٥هـ)، السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ.
٨. أبو غدة، عبد الفتاح، (ت ١٤١٧هـ)، الرسول العظيم وأساليبه في التعظيم، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٩. باشا، حسان شمسي، هكذا كانوا يوم كنا، طبعة دار المنارة، جدة، السعودية، (د.ط)، ١٩٩٩م.

١٠. البخاري، أبو عبد الله: محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٨٧م.
١١. الترمذي أبو عيسى، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، جامع الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
١٢. التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، (ت ٧٩٢هـ)، المطول شرح تبيين مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
١٣. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (ت ٨١٦هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ٣، (د. ت)، مطبوع مع رسائل إعجاز القرآن للرماني والجرجاني.
١٤. حسن، محمود السيد، روائع البيان في الأمثال النبوية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٨م.
١٥. الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني، في منظوقه ومفهوميه، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٦. الزرقا، محمد أنس بن مصطفى، بحث بعنوان: الأزمة المالية العالمية، من مؤتمر علمي حول: الأزمة المالية والاقتصادية العالمية المعاصرة من منظور اقتصادي إسلامي، ٢٥-٢٦ من ذي الحجة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، عمان، الأردن .
١٧. الزمخشري، لاجار الله أبي القاسم محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ)، شفاي عن حقائق غوامض التنزيل وحقائق الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.
١٨. لزانتي، عبد الحميد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط ٢، ١٩٩٣م.

١٩. الزهراني، علي بن إبراهيم، الأساليب التعليمية المستفادة من خلال تراجم البخاري، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ١٥، ع ٢٧، جمادى الثانية ١٤٢٤هـ.
٢٠. السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المنذوب، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢١. الصبان، محمد بن علي الشافعي، (ت ١٢٠٦هـ)، حاشية الصبان على شرح الأئمة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٢. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، (ت ٢١١هـ)، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
٢٣. العباد، عبد المحسن، شرح منن أبي داود، محاضرة منشور على شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت)، موقع، <http://audio.islamweb.net>
٢٤. عبد العزيز صالح، وعبد العزيز بن عبد المجيد، التربية وطريق التدريس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.
٢٥. الصقلاني، أحمد علي بن علي بن حجر، (٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط)، ١٣٧٩هـ.
٢٦. المعشي، عرفات كامل، وعبد الستار فتح الله سعيد، رجال ونساء أسلموا، المكتب المصري الحديث، القاهرة، مصر، (دط)، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٧. عطية، خالد شاكر، القصة في السنة النبوية، بحث محكم منشور في مجلة كلية أصول الدين والدعوة، طنطا، مصر.
٢٨. العلواني، محمد فياض، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٩. القرطبي، أبو عبد الله: محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، (ت ٦٧١هـ)،
المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

٣٠. الكتاني، محمد بن جعفر، (ت ١٣٤٥هـ)، الرسالة المستكرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣١. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب الشافعي، (ت ٤٥٠هـ)، أبواب الدنيا وأبواب الآخرة، تحقيق: محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٢. المباركفوري، أبو الحسن، عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان، (ت ١٤١٤هـ)، مروعة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس، الهند، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٣٣. محمد أبو بكر، مروان، فقه التدرج، مقال منشور على شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت)، موقع شبكة المشكاة الإسلامية، <http://www.meshkat.net>.

٣٤. مسلم، أبو الحسين: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٥. المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي (ت ١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٦. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، (ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٣٧. النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، (ت ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٣٨. النووي، أبو زكريا: يحيى بن شرف بن مري، (ت ٦٧٦هـ)، شرح النووي على صحيح مسلم، (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٣٩. هونكة، زيفريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.